رسالة علمية

١٥٩

آراء محمد رشيد رضا
في قضايا السنة النبوية
من خلال مجلة المنار

دراسة تحليلية نقدية

محمد بن رمضان رمضاني

آراء محمد رشيد رضا في قضايا السنة النبوية من خلال مجلة المنار

دراسة تحليلية نقدية

تأليف

محمد بن رمضان رمضاني

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

ح مجلة البيان، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

رمضاني، محمد رمضان

آراء محمد رشيد رضا في قضايا السنة النبوية من خلال مجلة المنار: دراسة تحليلية نقدية./ محمد رمضان رمضاني - الرياض، ١٤٣٤هـ

ص ٤٦١؛ ١٧× ٢٤ سم

ردمك: ٣ - ١٩ - ٨١٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - السنة النبوية ٢ - رضا، محمد رشيد، ت ١٣٥٤هـ

أ. العنوان

ديوي ٢٣٠ ١٤٣٤/٤٢٧

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٤٢٧

ردمك: ٣ - ١٩ - ٨١٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

المبحث الرابع
موقفه من عدالة مسلمة أهل الكتاب

ويتضمن المطالب التالية:

المطلب الأول: موقفه من كعب الأحبار.

المطلب الثاني: موقفه من وهب بن منبه.

المطلب الثالث: التحقيق في موقف الصحابة من الإسرائيليات.

تمهيد
في جذور القضية وأبعادها

بانتشار دين الله في الآفاقِ دَخَلَ الناس فيه أفواجاً، وكانوا من أمَمٍ شتى، ومن مللٍ ونحلٍ مختلفة، وكان بعضُهُم من أهل الكتاب كنصارى الشام أو يهودِ اليمن والمدينة، واشتغلَ أفرادٌ من هؤلاء بالعلم والتحديث حتى علا شأنهم في ذلك، وصَحِبَ بعضُهُم أصحابَ النبي ﷺ فأخذوا عنهم القرآن والسنة، وأخذ الصحابة والتابعون عن هؤلاء تاريخَ الأوَّلين والأمم السابقة مما يجدونه في كتبهم وصحائفهم، ولم يغب عن بال الصحابة حال تلقيهم تلك الأخبار ما كان أمرهم به نبيهم ﷺ حين قال: «لا تُصَدِّقُوا أهل الكتاب ولا تكذِّبُوهم»[1]، وقوله: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح)، كتاب التفسير، باب ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، رقم٤٤٨٥، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب، باب قول النبي ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء»، رقم٧٣٢٦، وفي كتاب التوحيد، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها لقول الله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]، رقم ٧٥٤٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في (الصحيح)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم٣٤٦١.

كما أن ظروف إسلام هؤلاء وما كانوا يُحَدِّثُونَ به؛ لم يُثِرِ الريب أو التوجس عند معاصريهم، ولا عند من جاء بعدهم من الأئمة والعلماء، بل كان أغلب من أسلم من أهل الكتاب في حياة النبي ﷺ أو بعد وفاته، مُوَثَّقاً مُؤتمناً كعبد الله بن سلام، وتميم الداري رضي الله عنهما من الصحابة، وككعب الأحبار، ووهب بن منبه من التابعين. . . وغيرهم.

أما في العصر المتأخر فقد أثيرت الشكوك وحامت الشبهات حول مسلمة أهل الكتاب من رواة الحديث الشريف، وكان مصدر ذلك التشكيك - كما هو العادة - المستشرقون الذين اتَّهَمُوهُم ببثِّ الأكاذيب، وخلط مصادرِ الشريعة بما ليس منها، وتبع المستشرقين في ذلك جماعاتٌ من المفكِّرينَ والكتَّاب، فاتَّهَمُوا مسلمةَ أهلِ الكتاب صراحاً بأنهم زنادقةٌ منافقون أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، بل بلغ ببعضهم حد الزعم أنهم وراء كل الفتن التي عصفت بالأمة بداية من مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقد نالَ كعب الأحبار ووهب بن منبه - رحمهما الله - النصيبَ الأوْفَرَ من تلك الاتهامات الخطيرة، لكونهما من أشهر مسلمة أهل الكتاب، وأكثرِهم حديثاً. وكتبُ التفسير والعقيدة، والحديث، مشحونةٌ بأقوالِهمَا ونصوصهما، وبناء على ذلك طال الردُّ كثيراً من رواياتهما وإن كانت في الصحيحين اللذين تلقتهما الأمة بالقبول، وهذا ينبهنا إلى خطورة هذه المسألة.

ونحاول - هنا - تجلية رأي رشيد رضا من هذه القضية، من خلال دراسة موقفه من كعبٍ ووهبٍ، من خلال ما كتبه في مجلته "المنار" مما له اتصال بهذه المسألة.

المطلب الأول
موقفه من كعب الأحبار

الفرع الأول: تعريف موجز بكعب الأحبار[1]:

هو أبو إسحاق كعبُ بن ماتع الحِمْيَرِي، المعروفُ بكعبِ الأحبار، من آل ذي رُعين، وقيل: من ذي كلاع، وأَصْلُهُ من يهودِ اليمَنِ، ويقال: إنه أدرك الجاهلية وأسلم في خلافة أبي بكر، وقيل: في خلافة عمر، وقيل: إنه أسلم في عهد النبي ﷺ، وتأخرت هجرتُهُ، وذهب ابن حجر إلى أن المشهور أن إسلامه كان في خلافة

(١) تنظر ترجمته في: الطبقات، خليفة بن خياط، ص٣٠٨، والطبقات الكبرى، ابن سعد، ٧/ ٤٤٥، ومعرفة الرجال، ابن معين، ٢/ ١٣٧، والتاريخ الكبير، البخاري، ٧/ ٢٢٣، والمعارف، ابن قتيبة، ص٤٣٠، والجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، ٧/ ١٦١، والثقات، ابن حبان، ٥/ ٣٢٣، والأنساب، السمعاني، ٢/ ٢٧٠، وتاريخ دمشق، ابن عساكر، ٥٠/ ١٥١، وتهذيب الأسماء واللغات، النووي، ٢/ ٦٨، وتهذيب الكمال، المزي، ٢٤/ ١٨٩، وتذكرة الحفاظ، ١/ ٥٢، والكاشف، ٢/ ١٤٨، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٨٩، وتجريد أسماء الصحابة، ٢/ ٣٣، والعبر، ١/ ٢٦، خمستها للذهبي، وتهذيب التهذيب، ٣/ ٤٧١، والإصابة (طبعة بجاوي)، ٥/ ٦٤٧، كلاهما لابن حجر، والإنابة إلى معرفة المختلف فيهم من الصحابة، ٢/ ١٢٣.

عمر[1]، وبعد إسلامه انتقل إلى المدينة، وغزا الروم في خلافة عمر، ثم تحوَّلَ في خلافة عثمان إلى الشام فَسَكَنَهَا إلى أن مات بحمص سنة ٣٢هـ[2]، وقد بلغ من العمر مائة وأربعين سنة. روى كعبٌ عن النبي ﷺ مرسلاً، وعن عمر وصهيب وعائشة، وروى عنه معاوية، وأبو هريرة، وابن عباس، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم[3].

الفرع الثاني: عرض موقفه من كعب الأحبار:

تناول رشيد رضا هذا التابعيَّ الجليلَ بكثير من الإسهابِ والتفصيلِ، سواء في (تفسيره)[4]، أو في مجلته "المنار"[5]، ولو جُمع كلام الشيخ رحمه الله حول كعب وحْدَهُ من التفسير والمجلة؛ لجاء في سِفْرٍ كاملٍ، وأحاول - هنا - تلخيص رأيه في كعبٍ من خلال النقاط التالية:

أولاً: عرضُ موقفه من إيمانِ كعبٍ وصدقِه: يقول رشيد رضا رحمه الله: «أما كعب الأحبار فإن البخاريَّ لم يروِ عنه في صحيحِهِ شيئاً، ولكن ذَكَرَهُ فيه بما يُعَدُّ جرحاً له لا تعديلاً، قال الحافظ ابن حجر في ترجمته من (تهذيب التهذيب): ورَوَى البخاريُّ من حديث الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، أنه سمع معاوية يحدث

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٨/ ٢٧٠.

(٢) ذهب ابن حبان إلى أن وفاته كانت سنة: ٣٤هـ، ورجح هذا ابن حجر. ينظر: الثقات، ابن حبان، ٥/ ٣٢٣، والإصابة (طبعة بجاوي)، ابن حجر، ٥/ ٦٤٧.

(٣) نَصُّ الترجمة مقتَبَسٌ - باختصارٍ وتصرف - من كتاب: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ١/ ١٣٧.

(٤) من الذين تناولوا موقفه من كعب في (تفسيره) بالتحليل والمناقشة: الأستاذ شفيق شقير في (موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي)، ص١٦٦-١٨٤، والدكتور فهد الرومي في (منهج المدرسة العقلية في التفسير) ص ٣٢٠-٣٢٥، ومن قبلهما الشيخ الذهبي رحمه الله في (التفسير والمفسرون)، ص١٣٨-١٤١، وفي (الإسرائيليات في التفسير والحديث)، ص٧٩-٨٢.

(٥) تناول موقفه من كعب في مجلة المنار بالتحليل والمناقشة الدكتور رمزي نعناعة في كتابه (الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير) ص١٦٩-١٨٢.

رهطاً من قريش بالمدينة، وذكر كعب الأحبار فقال: (إن كان لَمَنْ أَصدَقِ هؤلاء المحدِّثينَ عن أهل الكتاب، وإن كنَّا - مع ذلك - لَنَبْلُو عليه الكذب)[1]. (تأمل)... إن قول معاوية: إنَّ كعباً كان من أصدق المحدثين عن أهل الكتاب، وأنهم مع ذلك اختبروا عليه الكذب؛ طعنٌ صريحٌ في عدالته، وفي عدالة جمهور رواةِ الإسرائيليات؛ إذ ثَبَتَ كَذِبُ من يُعَدُّ من أصدقِهم»[2].

لم يَقْتَصِرْ طعنُ رشيد رضا في كعبٍ في رميهِ بالكذبِ، بل صرَّحَ بشكه في إيمانِهِ فقال: «كعب الأحبار الذي أجزمُ بكذبِهِ، بل لا أثق بإيمانه»[3].

هذا الطعن أَكَّدَهُ بتوجيه اتهام خطير لكعب حين قال: «وقَد حَقَّقْنا من قبلُ أن كعب الأحبار من زنادقة اليهود الذين أظهروا الإسلام والعبادة لتُقبل أقوالهم في الدين، وتُحْمَل على الروايةِ عن أنبياء بني إسرائيل»[4].

وقال في موضع آخر - مُتَّهِماً كعباً بأنه كان يكذب على كتب اليهود -: «لينظر كيف تسلسل انخداع الناس بروايات كعب الكذَّاب، وجعلوا ذنبها على كتب اليهود لا عليه، وأكثرها لا ذكر لها في كتبهم، وإنما هو الذي افتراها تشويهاً للإسلام»[5].

ثم قال إمعاناً في هذا الاتهام: «رواية كعب عن التوراة من وصف النبي ﷺ كذبٌ على التوراة أيضاً، وبمثلها كان يخدع المسلمين»[6].

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح)، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، رقم ٧٣٦١.
(٢) المنار، ٢٦/ ٧٧.
(٣) المنار، ٢٧/ ٦٩٧.
(٤) المنار، ٢٨/ ٧٥٢.
(٥) المنار، ٢٧/ ٧٠١ (هامش).
(٦) المنار، ٢٧/ ٥٤٤.

وقرَّرَ أن ذلك الخداعَ من كعب كان مبنياً على بثِّ الأكاذيب التي شوَّهت القرآن الكريم وأيَّدَت عقيدتَهُ الكتابية فقال: «وإن عمدتنا في جرح رواية وهب؛ ما جاء به من الإسرائيليات التي نقطع ببطلانها، وهو آفتها، كروايات كعب فيها، وقد شوَّها تفسير كتاب الله بما بثَّا فيها من الخرافات، وبما أدخلا فيها من العقائد الباطلة، ومن تأييد عقائد أهل الكتاب والشهادة لكتبهم التي بين أيديهم بالصحة»[1].

وقال مرةً مُتَهَكِّماً بكلام منقولٍ عن كعبٍ في وصف كرسي نبي الله سليمان عليه السلام: «فهذه أقوالُ أشهرِ كتبِ التفسير المعتمدةِ المعروفةِ في المسألة، مع وصف كعبٍ لكرسيِّهِ المذكور فيها، وهو من الأكاذيب التي عجز عن مثلها مصنف (ألف ليلة وليلةٍ)»[2].

وجعل من كعب الأحبار أقنوماً لكل الخرافات التي غزت كتب التفسير والعقيدة والتاريخ، ومصدراً هو ووهبٌ لكلِّ الأكاذيب المرتبطة بخلقِ الكونِ، وأخبار الأنبياءِ، والفتنِ وأشراطِ الساعة... وغيرها.

قال - غفر الله له -: «ثم ليعلم أن شَرَّ رواة هذه الإسرائيليات، أو أشدهم تلبيساً وخداعاً للمسلمين؛... كعب الأحبار، ووهب بن منبه، فلا تجد خرافة دخلت في كتب التفسير، والتاريخ الإسلامي، من أمور الخلق والتكوين، والأنبياء وأقوامهم، والفتن والساعة والآخرة، إلا وهي منهما مضرب المثل (في كل وادٍ أثرٌ من ثعلبة)[3]»[4].

---

(١) المنار، ٢٦/ ٧١٨.

(٢) المنار، ٢٧/ ٧٠٦.

(٣) مثل يضرب فيمن لقي ما يسوؤه أينما ذهب، وهو من قول ثَعْلَبِيٍّ، رأى من قومه ما يسوءه؛ فانتقل إلى غيرهم فرأى منهم أيضاً مثل ذلك. ينظر: مجمع الأمثال، الميداني، ١/ ٩٥.

(٤) المنار، ٢٧/ ٧٨٣.

كانت هذه طائفة يسيرة من نصوص الشيخ رشيد رضا، تُعَبِّرُ بكل وضوح وجلاءٍ عن موقفه الطاعن في إيمانِ وصدقِ كعب الأحبار رحمه الله. بقيَ أن نشيرَ إلى أهم الحجج التي اعتمد عليها الشيخ في موقفه ذلك.

ثانياً: دليلُهُ في اتِّهَامِهِ لكعبٍ: رغم أن الاتهام الذي وجهه رشيد رضا لكعب بالزندقة والكفر والكذب هو اتهام خطير جداً؛ إلا أنه لم يقدم بين يديه أدلةً كافيةً وواضحةً تؤكد تلك التهمة عدا قوله أن ما جاء به كعب الأحبار من الإسرائيليات غير موجود في التوراة، أي أن كعباً اخترع تلك الروايات الكثيرة التي كان يزعم أنه قرأها من كتب ملته الأولى.

قال رشيد رضا: «ومن كان متقناً للكذب في ذلك يَتَعَذَّرُ أو يتعَسَّرُ العثورُ على كذِبِهِ في ذلك العصر، إذ لم تكن كتب أهل الكتاب منتشرةً في زمانهم بين المسلمين كزماننا هذا، فإن توراة اليهود بين الأيدي، ونحن نرى فيما رواه كعبٌ ووهبٌ عنها ما لا وجود له فيها البتة على كثرته، وهي التوراة التي كانت عندهم في عصرهما، فإن ما وقع من التحريف والنقصان منها قد كان قبل الإسلام، وأما بعده فَجُلُّ ما وقع من التحريف هو المعنوي بحمل اللفظ على غير ما وضع له، واختلاف الترجمة، ولا يُعقل أن تكون هذه القصص الطويلة التي نراها في التفسير والتاريخ مرويةً عن التوراة قد حُذِفت منها بعد موت كعب ووهب وغيرهما من رواتها، فهي من الأكاذيب التي لم يكن يتيسر للصحابة والتابعين ولرجال الجرح والتعديل الأولين العثور عليها، وكذا علماء القرون الوسطى من المحدثين وغيرهم، إلا من عُني عناية خاصة بالاطلاع على كتب العهد العتيق والعهد الجديد عند أهل الكتاب، وعلى التواريخ المفصلة لأخبارهم، وقليل ما هم، وقد كان مثل البخاري من جهابذة المنقول، ومثل الفخر الرازي من جهابذة المعقول يظنان أن جميع تحريف أهل الكتاب معنوي؛ لأن تغيير أهل الملة لكتابها الديني غير معقول إذ لابد من أن يكون بالتواطؤ وإجماع الأمة،

وسبب هذا أن هؤلاء العلماء لم يكونوا يعلمون أن اليهود لم يكن عندهم من التوراة في الصدر الأول من تاريخهم إلا النسخة التي وضعها موسى عليه السلام في صندوق العهد (التابوت)، وأنها فُقِدَت بعد ذلك، ولم يكونوا يحفظونها، وأن ما عندهم الآن يرجع إلى ما كتبه لهم "عزرا"[1] بعد التيه ولذلك تكثر فيه الألفاظ البابلية»[2].

يُقَرِّرُ رشيد رضا هنا أن علماء الجرح والتعديل، وحتى علماء المعقول كالفخر الرازي لم يفطنوا لكذب كعب؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن ما يجيء به هو من التوراة، وهم لم يكونوا أصحاب علم واطلاع على الكتب القديمة، والتوراة التي بين الأيدي اليوم هي خِلوٌ من تلك القصص والأخبار التي كان يحكيها كعب.

ثم يقَرِّرُ أنَّ خفاء أمر كعب على علماء الجرح والتعديل ينبغي أن لا يكون مانعاً للمستقلين بالفكر في العصر المتأخر - والذين اطلعوا على كذب كعبٍ حسب رشيد رضا - من الحكمِ عليه بما وصلوا إليه فيقول: «ومن هذا القبيل حكايةُ بعض الرواة ككعب ووهب عن كتب بني إسرائيل. لم يكن يحيى بن معين، وأحمد، وأبو حاتم، وابنه، وأمثالهم، يعرفون ما يصح من ذلك، وما لا يصح؛ لعدم اطلاعهم على تلك الكتب، وعدم ظهور دليل على كذب الرواة المتقنين، للكذب فيما يعزونه إليها، فإذا ظهر لمن بعدهم في العصر، أو فيما قبله، أو فيما بعده ما لم يظهر لهم من كذب اثنين، أو أكثر من هؤلاء الرواة، فهل يكابر حسه ويكذب نفسه، ويصدقهم بلسانه كذباً ونفاقاً، أو يكتم الحق عن المسلمين لئلا يكون مخالفاً لمن قبله فيما ظهر له ولم يظهر لهم؟»[3].

---

(١) عزرا هو المعروف باسم "عزير" في القرآن الكريم، ويقال: إنه لم يبق من يحفظ التوراة من بني إسرائيل غيره؛ وعقيدتهم فيه أنه ألهم التوراة إلهاماً. ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١/ ٢٨٩-٢٩٢.

(٢) المنار، ٢٦/ ٧٨.

(٣) المنار، ٢٧/ ٦١٦.

فعدم اطلاع هؤلاء على تلك الكتب - حسب رشيد رضا - مانع لهم من اكتشاف كذب كعب الأحبار ووهب بن منبه، ولذلك عَدَّلَهُ جمهورُهُم.

هذا هو إذاً رأيُ السيد رشيد في عدالةِ وصدقِ بل في إيمانِ كعبٍ، وتلك كانت أدلَّتُهُ، وَقَدْ تسلق على كلامه العديد من الكُتَّاب، وتبنوا رأيه في كعب، واستدلوا بكلامه في ذلك، كمحمود أبي رية[1] وغيره[2]. والجدير بالبيان - هنا - أن رشيداً في تكذيبه لكعب الأحبار، وفي تشكيكه في إسلامِهِ يلتقي مع المستشرقين مثل "جولد سيهر"[3]، ومعَ بعض الفرقِ كالشيعة[4]، وكذا مع أرباب المدرسة العقلية الحديثة[5].

---

(١) ينظر: أضواء على السنة المحمدية، أبو رية، ص١٤٧. وقد صدَّر أبو رية كلام رشيد رضا في كعب الأحبار بقوله: «ولم نجد في هذا العصر، بل في العصور الأخيرة من فطن لدهاء كعب ووهب وكيدهما، مثل الفقيه المحدث السيد رشيد رضا رحمه الله».

(٢) ينظر مثلاً: ما كتبه إسلام البحيري في صحيفة (اليوم السابع) المصرية بعنون (الإسرائيليات أفسدت كتب الحديث والتفسير القرآني)، عدد: ٠٨، ٠٥ ديسمبر ٢٠٠٨م حيث طعن في كعب طعناً لاذعاً مستشهداً بنصوص رشيد رضا سالفة الذكر.

(٣) قال جولد سيهر: «ومن بين المراجع العلمية المتصلة عند ابن عباس نجد كعب الأحبار اليهودي، وعبد الله بن سلام، وأهل الكتاب على العموم ممن حذر الله منهم، كما أن ابن عباس نفسه في أقواله حذر من الرجوع إليهم، ولقد كان إسلام هؤلاء عند الناس فوق التهمة والكذب، ورفعوا إلى درجة أهل العلم الموثوق بهم». (المذاهب الإسلامية في التفسير)، ترجمة: عبد الحليم النجار، ص٨٦، ٨٧، وقد حذر الأستاذ أبو شهبة من هذا الكتاب ووصفه بأنه من أخطر الكتب على الثقافة الإسلامية. ينظر: (دفاعاً عن السنة)، ص٣٢٨.

(٤) وصف الكاتب الشيعي هاشم معروف الحسني كعب الأحبار بأنه «معروف بين المحدثين والمؤرخين بالكذب على رسول الله والصحابة الكرام، وإدخال البدع والغرائب والمنكرات بين أحاديث المسلمين» (الموضوعات في الآثار والأخبار) ص١٩١.

(٥) ينظر: منهج المدرسة العقلية في التفسير، الرومي، ص٣١٨-٣٢٠. و(عبد الله بن عباس) للدكتور جواد علي، منشور بمجلة "الرسالة"، ص٢٦، السنة ١٦، يناير ١٩٤٨، حيث كرر اتهامات رشيد رضا لكعب ووهب بالتآمر على الإسلام، وينظر أيضاً: (فجر الإسلام) لأحمد أمين، ص١٩٨، حيث اتهم كعباً بالوقوف على مكيدة قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الفرع الثالث: مناقشة رشيد رضا فيما ذهب إليه:

أولاً: توثيق الأئمة لكعب الأحبار: لم يذهب أحد من علماء الجرح والتعديل إلى تكذيب كعب بن ماتع الحميري المعروف بكعب الأحبار، فضلاً عن التشكيك في إيمانه أو اتهامه بالزندقة، بل إن كلمتهم مجتمعة على توثيقه والثناء عليه، بداية من معاصريه من الصحابة، فهذا أبو الدرداء يقول: «إن عند ابن الحميرية لعلماً كثيراً»[1]، ويقول معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: «ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء، إن كان عنده لعلم كالبحار، وإن كنا فيه لمفرطين»[2].

وقد كان كعبٌ يحدِّث على ملأ من الصحابة؛ فلم يُعرف عنهم اتهامٌ أو نكيرٌ عليه، وكان توثيقه محل اتفاق، ولذلك قال النووي رحمه الله: «اتفقوا على كثرة علمه وتوثيقه»[3]، وقال الإمام الذهبي - وهو الخبير في نقد الرجال -: «العلامة الحبر... وكان حسن الإسلام متين الديانة، من نبلاء العلماء، ... وكان خبيراً بكتب اليهود، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة... رضي الله عنه فلقد كان من أوعية العلم»[4]، والحافظ ابن كثير العارف بصحائف أهل الكتاب وما وقع فيها من التحريف والتغيير والتبديل يصف كعباً بأنه «من أجود من ينقل عنهم»[5].

فالحاصل أن «علماء الجرح والتعديل، وهم الذي لا تخفى عليهم حقيقة راوٍ، مهما تَستَّر، لم يتهموه بالوضع والاختلاق، والجمهور على توثيقه، ولم نجد له ذكراً

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٧/ ٤٤٥، وتاريخ دمشق، ابن عساكر، ٥٠/ ١٥٤، وتهذيب الكمال، المزي، ٢٤/ ١٩١، والإصابة، ابن حجر، (بجاوي)، ٥/ ٦٤٩.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٢/ ٣٥٧، وتاريخ دمشق، ابن عساكر، ٥٠/ ١٦٩، والإصابة (طبعة بجاوي)، ابن حجر، ٥/ ٦٥٠.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ٢/ ٦٨.

(٤) سير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٩٠، ٤٩١. وتذكرة الحفاظ، ١/ ٥٢، كلاهما للذهبي.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير، ٣/ ٣٦.

في كتب الضعفاء والمتروكين . . . وتكاد تتفق كلمة النقاد على توثيقه»[1]، «وما كان لمنصف أن يخدش في عدالته أو يشك في كونه ثقة، بعد ما ثبت من رواية أعلام الصحابة عنه كأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير»[2].

ثانياً: مقالة معاوية بن أبي سفيان في كعب: مما استدل به رشيد على كذب كعب الأحبار قولُ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فيه: «إن كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب»[3]. وتقدَّمَ وصفه لقول معاوية بأنه: «طعنٌ صريحٌ في عدالته، وفي عدالة جمهور رواة الإسرائيليات؛ إذ ثَبَتَ كذب من يعد من أصدقهم».

هكذا فهم رشيد عبارة معاوية السابقة، وقد مَرَّ مَعَنَا تزكية معاوية بن أبي سفيان لكعب حين قال فيه: «ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء، إن كان عنده لعلم كالبحار، وإن كنا فيه لمفرطين». فكيف يتحسر على التفريط في علمه الزاخر كالبحار، وفي حكمته، ومن ثم يصفه بالكذب؟ والسؤال هنا هو: ما المراد بقول معاوية السابق؟

للعلماء توجيهات ثلاثة لقول معاوية في كعب: «وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب».

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، أبو شهبة، ص١٠١، ١٠٢.

(٢) الإسرائيليات في التفسير والحديث، الذهبي، ص٧٥، ٧٦.

(٣) تقدم تخريجه، وسياق البخاري لإسناده هكذا: قال أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، أنه سمع معاوية فذكره. قال ابن حجر في (فتح الباري)١٣/ ٣٣٤: «كذا عند الجميع، ولم أره بصيغة حدثنا، وأبو اليمان من شيوخ البخاري، فإما أن يكون أخذه عنه مذاكرة، وإما أن يكون ترك التصريح بقوله: حدثنا، لكونه أثراً موقوفاً، ويحتمل أن يكون مما فاته سماعه، ثم وجدت الإسماعيلي أخرجه عن عبد الله بن العباس الطيالسي، عن البخاري قال: حدثنا أبو اليمان ومن هذا الوجه أخرجه أبو نعيم فذكره فظهر أنه مسموع له».

• الأول: أن الهاء في قوله: «عليه» عائدةٌ إلى «الكتاب»، لا إلى كعب؛ لأن لفظ (الكتاب) أقرب مذكور في الجملة[1].

• الثاني: أن الكذب ليس منه، وإنما هو في الكتب التي كان ينقل منها، أما هو فلم يكن إلا ناقلاً لما وجد في تلك الكتب، ولا يسمى من يفعل ذلك كاذباً، وقد قال النبي ﷺ: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[2].

قال الإمام ابن الجوزي - وقد كان حرباً على الوضَّاعين والكذَّابين - في شرحه لعبارة معاوية: «ويعني أن الكذب فيما يخبر به عن أهل الكتاب لا منه، فالأخبار التي يحكيها عن القوم يكون بعضها كذباً، فأما كعب الأحبار فأحد الأخيار»[3].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «ومعلوم أن عامة ما عند كعب أن ينقل ما وَجَد في كتبهم، ولو نقل ناقل ما وجده في الكتب عن نبينا ﷺ لكان فيه كذب كثير، فكيف بما في كتب أهل الكتاب مع طول المدة، وتبديل الدين، وتفرق أهله، وكثرة أهل الباطل فيه»[4].

وقال الحافظ ابن كثير: «معناه أنه يقع منه الكذب لغة من غير قصد؛ لأنه يحدث عن صحف هو يحسن بها الظن، وفيها أشياء موضوعة ومكذوبة؛ لأنهم لم يكن في ملتهم حفاظ متقنون كهذه الأمة العظيمة»[5].

ولتقريب معنى هذا الوجه؛ أنقل كلاماً للشيخ محمد أبو زهو حيث قال: «وما مَثَلُهُم فيما ينقلون ويحكون [أي أهل الكتاب]، إلا كَمَثَلِ رجلٍ أمين أرد أن يُطْلِعَكَ

---

(١) ينظر: مشارق الأنوار، القاضي عياض، ٢/ ٣٦٦.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، ٤/ ٩٥.
(٤) مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، ١٥/ ١٥٢.
(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/ ٢٨٥، وينظر أيضاً: البداية والنهاية، ابن كثير، ٣/ ٣٧، ومحاسن التأويل، القاسمي، ٤٧/ ٥٥.

على كتابٍ مؤلفٍ بغير لسانك؛ فترجمه إلى لغة تفهَمُهَا لتعرف ما فيه إن صدقاً وإن كذباً، والصدق حينئذٍ يُضاف إلى الكتاب لا إلى الناقل، وليس أمثال ابن مسعود، وابن عباس، وأبي هريرة، وابن عمر بالقاصرين عن تمييز الخبيث من الطيب، حتى يقال أن نَقْلَهَا إليهم يُشوِّشُ على أفكارهم وعقائدهم»[1].

• الثالث: أنه كان يخطئ في بعض حديثه لا أنه كان يتعمد الكذب والاختلاق.

قال ابن حبان: «أراد معاوية أنه يخطئ أحياناً فيما يخبر به، ولم يرد أنه كان كذاباً»[2].

وقال ابن حجر: «أي يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف ما يخبرنا به، قال ابن التين: وهذا نحو قول ابن عباس في كعب المذكور: بدل من قبله فوقع في الكذب»[3].

والكذب يأتي في اللغة بمعنى الخطأ، ومنه قول الأخطل[4]:

كَذَبَتْكَ عينُكَ أم رَأَيْتَ بواسطٍ
غَلَسَ الظلام من الرَّبَابِ خيالاً[5]

(١) الحديث والمحدثون، أبو زهو، ص١٨٧.
(٢) نقلها عنه ابن حجر في (فتح الباري) ١٣/ ٣٣٥، ولم أجدها في ترجمة كعب في (الثقات)، ولا في (مشاهير علماء الأمصار).
(٣) فتح الباري، ابن حجر، ١٣/ ٣٣٤.
(٤) هو غياث بن غوث التغلبي النصراني، ويكنى: أبا مالك، سماه كعب بن جعيل بالأخطل حين قال له: إنك لأخطل يا غلام، كان يمدح بني أمية، مدح معاوية ويزيد ومن بعدهم من خلفاء بني مروان حتى هلك، وله أخبار في هجائه جريراً والفرزدق، ومات قبل الفرزدق بسنوات. طبقات فحول الشعراء، ابن سلام، ٢/ ٢٦٧، والشعر والشعراء، ابن قتيبة، ١/ ٤٨٣، وجمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ٢/ ٣٠٥، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤/ ٥٨٩.
(٥) ديوان الأخطل، ش: مهدي ناصر الدين، ص٢٤٥.

المراد بقوله: كذبتك عينك: أَخْطَأَت[1].

ومن وُرُودِ (الكذب) بهذا المعنى في كلام النبي ﷺ أيضاً ما أخرجه الإمام أحمد وغيره من «أن سبيعة بنت الحارث التي تعالَّت[2] من نِفاسِها بعد وفاة زوجها بأيام، فمر بها أبو السنابل فقال: إنَّكِ لا تحِلِّي حتى تَمْكُثِي أربعةَ أشهرٍ وعشراً. فَذَكَرَت ذلكَ لرسول الله ﷺ فقال: «كذب أبو السنابل، ليس كما قال، قد حللت فأنكحي»[3]. فمراد رسول الله ﷺ ليس تكذيب أبي السنابل، إنما أراد أنه «أخبر بما هو باطل في نفس الأمر»[4].

ومنه أيضاً ما أخرجه البخاري[5] وغيره من أنه ﷺ قال لمن قال: إن عامراً الذي أخطأ قَتْلَ نفسِهِ يومَ خَيبر: أُحْبِطَ عملُهُ. فقال ﷺ: «كَذَبَ من قالَهَا، إنَّ لَهُ لأَجْرَيْنِ اثْنَيْنِ، إنَّه لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ، وأَي قَتْلٍ يَزِيدُهُ عَلَيْهِ». فمن قال أن عَمَلَ عَامِرٍ أُحْبِطَ أخطؤوا لأنهم ظنوا قتله نفسه - ولو خطأ - محبطاً لعمله، فبين رسول الله أن ذلك خطأ بقوله: «كذب من قالها»، «أي أخطأ»[6].

---

(١) انظر شاهداً آخر على هذا المعنى في: ديوان ذي الرمة، ش: أحمد حسن بسج، ص١٩.

(٢) تعالت: تعلت المرأة من نفاسها وتعالت بمعنى: خرجت منه وسلمت. وطهرت. ينظر: المغرب في ترتيب المعرب، أبو الفتح بن المطرز، ت: محمود فاغوري وعبد الحميد مختاري، ٢/ ٨٠.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في (المسند)، ٧/ ٣٠٥، وعبد الرزاق في (المصنف) (طبعة الأعظمي)، ٦/ ٤٧٤، والبيهقي في (السنن الكبرى)، ٧/ ٧٠٥، وصححه الألباني في (الصحيحة) ٣٢٧٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ١/ ٢١٩.

(٥) أخرجه في: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، رقم٤١٩٦، وفي كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه ٦١٤٨، وفي كتاب الديات، باب إذا قتل نفسه خطأ فلا دية له، رقم٦٨٩١.

(٦) فتح الباري، ابن حجر، ٧/ ٤٦٧، وينظر: دفاع عن أبي هريرة للعزي، ص١١٥-١١٩ ففيه بحث ماتع حول معاني الكذب في عرف أهل اللغة، وقد استفدت أغلب ما كتبت منه.

قال ابن تيمية رحمه الله: «إن الكذب كانوا يطلقونه بإزاء الخطأ»[1].

وذكر ابن القيم أن الكذب: «نوعان: كذبٌ عمدٌ، وكذبٌ خطأ. فكذبُ العمدِ معروفٌ، وكذبُ الخطأِ ككذب أبي السنابل في فتواه للمتوفى عنها إذا وضعت حملها»[2].

فمن الأوجه التي فسر بها حديث معاوية حمل الكذب هنا على الخطأ، ومهما يكن فإن جميع شُرَّاح هذا الحديث «يشرحونه بما يبعد هذه الوصمة الشنيعة عن كعب الأحبار»[3].

وليس في كلام معاوية ما يدل على ما ذهب إليه رشيد من أن كعباً كانَ وَضَّاعاً كذاباً، «وهذا الكلام من معاوية له وزنُهُ، فهو رجل داهية لا تخفى عليه الرجال ولا دسائسهم، ومعاوية لا يخشى كعباً، ولا يعقل أن يتملقه، ولو يعلم فيه أكثر من ذلك لقاله»[4].

ثالثاً: مناقشة حججه في تكذيب كعب: مما جعله رشيد رضا دليلاً على كذب كعب الأحبار وغيره من أهل الكتاب؛ أن ما جاء به من القصص والأخبار غير موجود في التوراة، وهذا - حسب رشيد - دليل أن ما جاء به كعب هو من عند نفسه، وأن التوراة المحرفة نفسها بريئة من أكاذيبه.

ثم زعم أن كذب كعب خفيَ على علماء القرون الأولى كأحمد ابن حنبل، وعلي بن المديني، وأبي حاتم الرازي... وغيرهم؛ لأنهم لم يكونوا أهل اطلاع على

---

(١) مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، ٣٢/ ٢٦٦.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، ١/ ٣٦٤.

(٣) التفسير والمفسرون، الذهبي، ١/ ١٤٠.

(٤) دفاعا عن السنة، أبو شهبة، ص٧٠.

التوراة، ولأن التوراة لم تكن منتشرة بين الناس وقتها، فسنحت الظروف لكعب أن يفتري ما يشاء، وأن يزيد فيها ما يريد تشويهاً للإسلام.

فأقول: على هذا الكلام ثلاث ملاحظات:

• **الأولى**: لم يكن كعب الأحبار يحدث من التوراة فقط إنما كان يحدث من الصحف التي كانت بين يديه والتي ورثها من علماء بني إسرائيل، والمعروف أن المراد بالكتاب في قولنا " أهل الكتاب " «يشمل التوراة والإنجيل والصحف»[1].

ولا شك في أن الكثيرَ من تلك الصحف قد انقرض، ولم يعد لها أثرٌ، كما أن لليهود كُتُباً غير التوراة، كـ"التلمود"[2] مثلاً، وحتى التوراة التي بين الأيدي اليوم طالها من التحريف والتغيير ما يجزم معه أنها مختلفة عن التي كانت في زمن كعب الأحبار، إذ إن أهلها غيروا فيها وحرفوا الكثير من النسخ بشهادة رشيد نفسه. قال عبد الرحمن المعلمي: «وما صح عنه [أي كعب] من الأقوال، ولم يوجد في كتب أهل الكتاب الآن؛ ليس بحجةٍ واضحةٍ على كذبِه، فإن كثيراً من كُتُبِهم انقرضت نُسَخُهَا، ثم لَمْ يزالوا يُحَرِّفُون ويُبَدِّلون، وممن ذكر ذلك السيد رشيد رضا في مواضع من التفسير وغيره»[3].

ورشيد رضا يقرر أن التوراة التي بين الأيدي اليوم هي التي كانت عند كعب، وهي التي كتبها "عزرا" لليهود، وهذا باطل أشد البطلان؛ لأن التوراة المعروفة اليوم ليست توراة موسى قطعاً، كما أنها ليست تلك التي كتبها "عزرا" بعد قرون.

---

(١) عمدة القاري، بدر الدين العيني، ت: عبد الله محمود محمد عمر، ٢٥/ ١١٢.

(٢) التلمود: «عبارةٌ عن رواياتٍ شفويةٍ تناقَلَهَا الحاخامات عن موسى عليه السلام من جيل إلى جيل... وَأَدخَلَ حاخاماتُ فلسطينَ وبابل عليها الكثير من الزيادات والشروح والحواشي». ينظر: الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، نعناعة، ص٣٢.

(٣) الأنوار الكاشفة، المعلمي، ص١٠٦.

يقول العلامة رحمت الله الهندي رحمه الله في كتابه العُجَاب (إظهار الحق): «إن التوراة المشهورة ليست التوراة التي صَنَّفَهَا مُوسى، ولا التي كتبها عزرا، بل الحق أنها مجموع من الروايات والقصص المشتهرة بين اليهود، وجَمعها أحبارُهم في هذا المجموع بلا نقد للروايات»[1].

فلا محل لاستدلال رشيد رضا بأن ما خلت منه التوراة المعروفة اليوم مما جاء به كعب الأحبار أو وهب بن منبه؛ دليل على كذبه واختلاقه.

• **الثانية**: أَنَّ وَصْفَ رشيد رضا لعلماء الإسلام في القرون الأولى والوسطى بأن كذبَ كعبٍ راجَ عليهِمْ؛ لأنهم لكم يكونوا أهل اطلاع على التوراة؛ هو وصف فيه نظر، إذ لو افترض أن ذلك هو شأن مجموعهم، إلا أن أفراداً منهم كان بلا شك عارفاً بالتوراة مطلعاً عليها، لكنهم - مع ذلك - لم يكُونُوا يُكذِّبُون كعباً، ولم يكونوا يعدون خلو التوراة مما يأتي به من الأخبار والقصص والحوادث أمارة على كذبه.

ثم إن رشيد استثنى من هؤلاء الذين انطلى عليهم كذب كعب الأحبار من «عُني عناية خاصة بالاطلاع على كتب العهد العتيق والعهد الجديد عند أهل الكتاب، وعلى التواريخ المفصلة لأخبارهم»[2]، لكنه لم ينقل عنه واحد منهم ولو نصف كلمة في جرح كعب أو ثلبه.

أفخفي عليهم أيضاً كذب كعب، أم أنهم عرفوه فكتموه؟

وحتى الحافظ ابن كثير الذي وصفه رشيد رضا بأنه: «قد علم من حال كتب أهل الكتاب ما لم يكن يعلم أئمة الجرح والتعديل ممن فوقه كأحمد، وابن معين، والبخاري، ومسلم الذين لم يروا هذه الكتب كما رآها، ولم يطَّلعوا على ما بيّنه

---

(١) إظهار الحق، رحمت الله الهندي، ت: محمد أحمد ملكاوي، ١/ ١١٣، ١١٤.
(٢) المنار، ٢٦/ ٧٨.

المطَّلعون عليها قبله من تحريفها وأغلاطها، ومخالفتها لما نقطع به من أصول الإيمان بالله ورسوله. . .إلخ، كابن حزم، وابن تيمية أستاذه، ولو علم أولئك ما علمه هؤلاء من ذلك؛ لجزموا بأن وهباً كان كذاباً غاشّاً للمسلمين بصلاحه»[1].

أقول: حتى الحافظ ابن كثير لم ينبز كعباً ولا وهباً بشيء، بل إني نقلت كلامه في الثناء عليه ووصفه بأنه كان من أجود من ينقل عن أهل الكتاب، بل نقلت عنه نفيه الكذب عن كعب الأحبار عند شرحه لعبارة معاوية السابقة.

وحاصل القول أن لا أحد من علماء الإسلام في القرون الأولى، ولا الوسطى، ولا حتى الأخيرة تكلم في كعب الأحبار، أو وصفه بما وصفه به رشيد رضا، ولا حتى من المطلعين على كتب أهل الكتاب كالحافظ ابن كثير، ومن قبله أستاذه ابن تيمية، ومن قبلهما ابن حزم. . . وغيرهم كثير، ممن يشهد لهم الجميع - بمن فيهم رشيد رضا - بالاطلاع الواسع على كتب أهل الكتاب، ومعرفة ما وقع فيها من التغيير والتحريف والتبديل، وبعيد أن يخفى حاله على جميعهم مع قرب العصر، ويظهر للشيخ رشيد رضا كذبُهُ ودجلُهُ بله كفره ونفاقه.

• **الملاحظة الثالثة**: ليس كل ما ينسب لكعب الأحبار أو وهب بن منبه أو غيرهما من رواة الإسرائيليات هو ثابت النقل عنهم، صحيح الإسناد إليهم، بل إن أغلبه إن بُحث فيه؛ وُجِدَ أنه كذب عليهم، كما أن «الوضاعين استغلوا شهرته. . . فكذبوا عليه كثيراً لأغراضهم، وكان الكذب عليه أيسر من الكذب على النبي ﷺ»[2].

ويقول الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله: «أما كعب الأحبار فقد روي عنه ونسب إليه الكثير من الإسرائيليات، وبعض ما نسب إليه حق واضح، وبعضه كذب

---

(١) المنار، ٢٦/ ٧١٩.

(٢) الأنوار الكاشفة، المعلمي، ص١٣٧. وينظر: الحديث والمحدثون، أبو زهو، ص١٩١.

فاضح، الأمر الذي جعل بعض النقاد يعتقد صحة روايته لكل ما نسب إليه؛ فيكيل له التهم جزافاً، ولا يرى كل مروياته الإسرائيلية إلا أكاذيب وأباطيل»[1].

ولعل ما يعضد هذا - وهو وهم بعض الرواة في نسبة ما ليس لكعب له - قول بسر بن سعيد: «اتقوا الله، وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ، ويحدثنا عن كعب الأحبار، ثم يقوم، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله ﷺ عن كعب، ويجعل حديث كعب عن رسول الله ﷺ»[2].

وحاصل القول أن كثيراً مما ينسب لكعب مكذوب عليه، وسبيل معرفة ما يصح مما لا يصح هو تتبع الأسانيد ومعرفة سقيمها من صحيحها، أما أن يُصدق كل ما ينسب لكعب دون تمييز؛ فهذا - لا شك - مخالف للإنصاف، والله أعلم.

وبهذا يمكن وصف موقف رشيد رضا من كعب الأحبار، بالمتحامل، حيث إنه رحمه الله قرَّرَ دعاوى عريضة، من تكذيب لكعب، ووصْمِهِ بالزندقة، وتشكيكٍ في إيمانِهِ وإسلامِهِ، دون أن يُقدِّمَ بين يدي هذه التهم حُجَجاً كافيةً، وأدلة واضحةً، بل الواقع العلميُّ ينقض ما قرَّرَهُ، ويثبت أن كعب الأحبار تابعيٌّ ثقةٌ مؤتمنٌ من خيار مسلمة أهل الكتاب باتفاق جماهير المسلمين.

---

(١) التفسير والمفسرون، الذهبي، ص٧٤.

(٢) أخرجه مسلم في (التمييز)، ص١٧٥، ومن طريقه ابن عساكر في (تاريخ دمشق)، ٦٧/ ٣٥٩.

المطلب الثاني
موقفه من وهب بن منبه

الفرع الأول: تعريف موجز بوهب بن منبه[1]:

هو أبو عبد الله، وهبُ بنُ مُنَبِّه بن سِيج بن ذي كِناز، اليماني الصنعاني، من خيار علماء التابعين. قال عبد الله بن أحمد ابن حنبل عن أبيه: «كان من أبناء فارس، وأصل والده مُنَبِّه من خراسان من أهل "هراة"[2]، أخرجه كسرى منها إلى اليمن، فأسلم في عهد النبي ﷺ، وكان وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ يختلف إلى هراة ويتفَقَّدُ أمرَهَا، وقيل:

(١) تنظر ترجمته وأقوال الأئمة فيه في: الطبقات، خليفة بن خياط، ص٢٨٧، والطبقات الكبرى، ابن سعد، ٥/ ٥٤٣، والتاريخ الكبير، البخاري، ٨/ ١٦٤، والتاريخ الكبير، ابن أبي خيثمة، ١/ ٣١٨، والمعرفة والتاريخ، يعقوب الفسوي، ٢/ ٢٩، والجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، ٩/ ٢٤، ومشاهير علماء الأمصار، ص١٥٠، والثقات، ٥/ ٤٨٧ كلاهما لابن حبان، ورجال البخاري، الكلاباذي، ٢/ ٧٦٠، وحلية الأولياء، أبي نعيم، ١١/ ٢٣، وتاريخ دمشق، ابن عساكر، ٦٣/ ٣٦٦، وتهذيب الكمال، المزي، ٣١/ ١٤٠، وسير أعلام النبلاء، ٤/ ٥٤٤، والكاشف، ٢/ ٣٥٨، والعبر، ١/ ١٠٩، وتذكرة الحفاظ، ١/ ١٠٠، أربعتها للذهبي، وتهذيب التهذيب، ابن حجر، ٤/ ٣٣٢.

(٢) هراة: مدينة من مدن خراسان (أفغانستان حالياً). ينظر وصفها في: الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري، ٥٩٤.

إنه تولى قضاء صنعاء. ولد سنة ٣٤هـ في خلافة عثمان، وقال ابن سعد وجماعة: مات سنة ١١٠هـ، وقيل غير ذلك.

روى عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو بن العاص، وجابر، وأنس، وغيرهم، وروى عنه ابناه: عبد الله، وعبد الرحمن، وعمر بن دينار، وغيرهم.

الفرع الثاني: استعراض موقفه من وهب:

لن يأخذ الكلام عن وهب بن منبه حيزاً كبيراً من هذا المبحث؛ لأن أغلب الشبه التي أثارها رضا حوله هي نفسُهَا التي أثارَهَا حول كعب الأحبار، وقد تم الإجابة عنها كلها.

لم يكن رشيد يذكر كعباً في معرض الذم والانتقاص إلا وقرن معه وهب بن منبه، وقد مرت بنا نصوصه في ذلك كقوله مثلاً: «وإن عمدتنا في جرح رواية وهب؛ ما جاء به من الإسرائيليات التي نقطع ببطلانها، وهو آفتها، كروايات كعب فيها، وقد شوَّهَا تفسير كتاب الله بما بثَّا فيها من الخرافات، وبما أدخلا فيها من العقائد الباطلة، ومن تأييد عقائد أهل الكتاب والشهادة لكتبهم التي بين أيديهم بالصحة»[1].

وكقوله في موضع آخر: «ثم ليعلم أن شر رواية هذه الإسرائيليات، أو أشدهم تلبيساً وخداعاً للمسلمين؛ . . . كعب الأحبار، ووهب بن منبه، فلا تجد خرافة دخلت في كتب التفسير، والتاريخ الإسلامي، من أمور الخلق والتكوين، والأنبياء وأقوامهم، والفتن والساعة والآخرة، إلا وهي منهما مضرب المثل (في كل واد أثر من ثعلبة)»[2].

---

(١) المنار، ٢٦/ ٧١٨.

(٢) المنار، ٢٧/ ٧٨٣.

ومما نقلته أيضاً - مما فيه ذكر وهب مقروناً بكعب - قوله: «ومنبع هذه الروايات كعب الأحبار ووهب بن منبه اللذان بَثَّا في المسلمين أكثر الإسرائيليات الخرافية»[1].

وعلى كلٍّ فقد تم مناقشة هذه التهم التي أدان بها رضا كلا الرجلين، فلا حاجة لإعادته هنا، لكن وهب بن منبه نال طعوناً مستقلة من رشيد رضا وجب النظر فيها ومناقشتها.

أولاً: تكذيبه إياه: وَصَفَ رشيد رِضَا وهباً بأنه كان كَذَّاباً دَسَّاساً، وقد مر معنا بعض النقول التي جاء اسمه فيها مقترناً بكعب الأحبار، كما أنه وصف وهباً بانحطاط رتبته في العلم والفهم، وبأنه كان يكذب ويلبس كذبه ثوب زور من المرفوعات والموقوفات، فقال - عند نقله لأقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾ [**آل عمران**: ٥٥] -: «فعلى هذا يكون قول ابن عباس هو الظاهر المتبادر، وقول وهب والضَّحَّاك[2] تأويل مخالفٌ للظاهر؛ فيكون كل منهما ضعيفاً في نفسه على انحطاط رتبة قائله في علمه وفهمه، ولا سيما وهب بن منبه الذي هو صنو كعب الأحبار في بث الخرافات الإسرائيلية في تفسير أمثال هذه الآيات من القرآن بدهاء غريب، ألبس بعضها ثوبي زور من المرفوعات والموقوفات»[3].

---

(١) المنار، ٣٣/ ٥١٠.

(٢) الضحاك: بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، صاحب (التفسير)، كان من أوعية العلم، حدث عن جماعة من الصحابة كابن عباس، وأبي سعيد الخدري. ووثقه أحمد ابن حنبل، ويحيى بن معين، وضعفه يحيى بن سعيد، وحديثه في (السنن)، وليس له في (الصحيحين) شيء، وكان للضحاك مدرسة يدرس فيها مئات الصبيان، وتوفي بخراسان سنة ١٠٢ وقيل ١٠٥هـ. الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٦/ ٣٠٠، والتاريخ الكبير، البخاري، ٤/ ٣٣٢، والثقات، ابن حبان، ٦/ ٤٨٠، والكامل، ابن عدي، ٥/ ١٤٩، وتهذيب الكمال، المزي ٢/ ٦١٨، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤/ ٥٩٨.

(٣) المنار، ٢٨/ ٧٥٤.

وبمثل ما قال في شأن كعب أيضاً؛ أعاد رضا الدعوى نفسها القائلة بأن جمهور العلماء والأئمة انخدَعُوا بكذبِهِ ودسائسِهِ، فقال غفر الله له: «وهبُ بنُ مُنبِّه الذي وَثَّقه الجمهور انخداعاً منهم، وغفلة عن كون دسائسه الإسرائيلية من وَضْعِهِ، لا منقولةً من كتب بني إسرائيل المقدسة»[1].

وقال عن وهبٍ أيضاً: «واغترّ به الجمهور لأن جل روايته للإسرائيليات، ولم يكونوا يدققون النظر في نقدها تدقيقهم في نقد روايات أصول الدين وفروعه، وقلما كان أحد من رجال الجرح والتعديل يعرف شيئاً من كتب أهل الكتاب ليصح حكمه على الرواة عنها»[2].

ثانياً: رميه إياه بعقيدة الجبر[3]: قال رشيد رضا: «وأما وهب بن منبه فقد كان تابعيّاً عابداً، ولم يُتَّهم في شيء من دينه إلا بالقول بالقدر، وذكروا عنه أنه رجع عنه... هذا، وإن ما نقلوه عنه من الرجوع عن عقيدة القدر؛ لَرَمي له بعقيدة الجبر المحض وهي شر منها، فكانوا بذلك كمن يغسل الدم بالبول، وهو مع ذلك يدل على كذبه فيما يرويه عن كتب الأنبياء عليهم السلام، فقد ذكروا عنه أنه قال: كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء في كلها: (من جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر) فتركت قولي[4]»[5]، وقال: «إن وهباً قد انتقل من بدعة

---

(١) المنار، ٢٨/ ٧٥٦.

(٢) المنار، ٢٦/ ٧١٦.

(٣) الجبرية: الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد، وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أقسام، فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً. الملل والنحل، الشهرستاني، ١/ ٩٧، وموسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، عبد الله الحفني، ص١٣٦، ١٣٧.

(٤) ينظر تخريج هذا النص ص ٣٧٥ من هذا البحث.

(٥) المنار، ٢٦/ ٧١٦، ٧١٧.

القدرية[1] إلى بدعة الجبرية التي هي شر منها وأضر، وأدهى وأمر»[2].

الفرع الثالث: مناقشته فيما ذهب إليه:

أولاً: إثبات توثيقه: لو رجعنا إلى ما قاله العلماء النقاد في شأن وهب لتبين لنا أنه رجل منزه عما رمي به، مبرأ من كل ما يخدش عدالته وصدقه، فجمهورهم على أنه ثقة في الرواية، ذو علم، واطلاع، وعبادة، فالإمام العجلي يصفه بأنه «تابعي ثقة»[3]، ويقول فيه أبو زرعة: «يماني ثقة»[4].

وممن وثقه أيضاً الإمام النسائي[5]، وذكره ابن حبان في (الثقات)[6].

وأسند ابن عساكر إلى صالح ابن الإمام أحمد ابن حنبل أنه قال: «وهب بن منبه، يماني، تابعي ثقة، وكان على قضاء صنعاء»[7].

ونقل الإمام النووي الاتفاق على توثيقه فقال: «تابعي جليل، من المشهورين بمعرفة الكتب الماضية، . . . واتفقوا على توثيقه»[8].

وقال الإمام الذهبي: «كان ثقة واسع العلم»[9].

---

(١) القدرية: أول من قال بمقالة القدرية معبد الجهني وغيلان الدمشقي، وتدور مقالتهم على نفي خلق الله لأفعال المخلوقين، فليس لله في أعمال العباد مشيئة، وقالوا: إن العبد هو الفاعل للخير والشر، والإيمان والكفر، ولا يجوز أن يريد الله من العباد خلاف ما يأمر. الملل والنحل، الشهرستاني، ١/ ١٤٧، ٦١.

(٢) المنار، ٢٦/ ٧١٨.

(٣) الثقات، العجلي، ٢/ ٣٤٥.

(٤) الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، ٩/ ٢٤.

(٥) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٦٣/ ٣٦٦، وتهذيب الكمال، المزي، ٣١/ ١٤٢.

(٦) ٥/ ٤٨٧.

(٧) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٦٣/ ٣٧٦.

(٨) تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ٢/ ١٤٩.

(٩) تذكرة الحفاظ، الذهبي، ١/ ١٠١. والعبر، ١/ ١٠٩، وسير أعلام النبلاء، ٤/ ٥٤٤.

وقال الحافظ ابن كثير - وَهُوَ من وَصَفَهُ رشيد رِضَا بأَنَّهُ كان مُطَّلِعاً على كُتُبِ أهل الكتاب وما وَقَعَ فيهَا من التغيير والتحريف - : «تابعيٌّ جليلٌ، وله معرفة بكتبِ الأوائلِ . . . وله صلاحٌ وعبادة»[1].

وقال الحافظ ابن حجر : «وهب بن منبه الصنعاني، من التابعين، وثقه الجمهور، وشذ الفَلَّاس[2] فقال : كان ضعيفاً. وكأن شبهته في ذلك أنه كان يُتَّهم بالقول بالقدر، وصنف فيه كتاباً، ثم صح أنه رجع عنه»[3].

وهو أيضاً من رجال البخاري، فقد أخرج له حديثاً عن أخيه همام، عن أبي هريرة في كتابة الحديث[4].

فنحن أمام توثيق هؤلاء الأئمة جميعاً؛ لا نملك أن نقبل اتهامات رشيد رضا له، والواقع - كما مر بنا - أن رشيداً وصف توثيق جمهور الأئمة لوهب بأنه اغترار منهم به؛ لكونهم لم يكونوا أهل نظر في الإسرائيليات.

والسؤال هنا : هل هذا الوصف ينطبق على المتأخرين من العلماء كابن كثير، والذهبي؟

---

(١) البداية والنهاية، ١٣/ ٥٨.

(٢) هو عمرو بن علي بن بحر بن كنيز، أبو حفص الباهلي، البصري، الصيرفي، الحافظ، الإمام، الناقد، حفيد المحدث الكبير بحر بن كنيز السقاء، ولد سنة نيف وستين ومائة، وثقه جمهور الأئمة كأبي حاتم، وأبي زرعة، والنسائي، وحدث عنه الأئمة الستة في كتبهم، رحل إلى بغداد فحدث بها، ومات بالعسكر سنة ٢٤٩هـ، وله من التصانيف : (العلل)، و(المسند). الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، ٦/ ٢٤٩، وتاريخ بغداد، الخطيب، ١٤/ ١١٧، والأنساب، السمعاني، ٤/ ٤١٤، وتهذيب الكمال، المزي، ٢٢/ ١٦٢، والسير، الذهبي، ١١/ ٤٧٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ١/ ٤٥٠.

(٤) هو حديث أبي هريرة : «ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب». رواه وهب بن منبه، عن أخيه همام، عن أبي هريرة. أخرجه البخاري في (الصحيح)، كتاب العلم، باب كتابة العلم، رقم١١٣.

وقد مر بنا وصف رشيد رضا لابن كثير بأنه كان صاحب اطلاع ونظر في كتب أهل الكتاب[1]، فلِمَ لم يغمز ابن كثير وهباً بشيء؟ بل على العكس وصفه بأنه كان ذا «صلاح وعبادة».

ثانياً: براءته من عقيدتي القدر والجبر: تشبث رشيد رضا بتفرد الفَلَّاس في تضعيفه وهباً، ورَجَّحَهُ على توثيق الجمهور، فقال في أحد مواضع تفسيره: «إنني أرجح تضعيف عمرو بن علي الفلاس لوهب على توثيق الجمهور له، بل أنا أسوأ فيه ظناً على ما روي من كثرة عبادته، ويغلب على ظني أنه كان له ضلع مع قومه الفرس الذين يكيدون للإسلام والعرب، ويدسون لهم من باب الرواية ومن طريق التشيع»[2].

قلت: قد بَيَّنَ الحافظ ابن حجر سبَبَ تضعيف الفلاس له، وهو قوله بالقدر، وهي تهمةٌ غير مؤثرةٍ لأمرين اثنين:

١- ثبوت رجوعه عن القول بالقدر: إذا صحَّ أن وهباً كان يقول بالقدر؛ فقد صحَّ أيضاً رجوعه عنه، فقد قال الإمام أحمد: «وكان يتهم بشيء من القدر، ورجع»[3]، وقال الجوزجاني: «كان وهب كتب كتاباً في القدر، ثم حُدِّثْتُ أنه نَدِمَ عليه»[4].

بل إن ما يؤكد نَدَمَهُ على الخوض في القدر ما رواه عمرو بن دينار قال: «دخلت على وهب بن منبه داره بصنعاء فأطعمني من جوزة في داره، فقلت له: وددت لو أنك لم تكن كتبت في القدر كتاباً. فقال: أنا والله لوددت ذلك»[5].

---

(١) المنار، ٢٦/ ٧١٩.

(٢) تفسير المنار، رشيد رضا، ٩/ ٤٤.

(٣) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٦٣/ ٣٨٥. تهذيب الكمال، المزي، ٣١/ ١٤٧.،

(٤) أحوال الرجال، إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، ت: صبحي السامرائي، ص١٨٩.

(٥) المعرفة والتاريخ، الفسوي، ٢/ ٢٨١، وتاريخ دمشق، ابن عساكر، ٦٣/ ٣٨٥.

وذكر ابن حجر عن حماد بن سلمة، عن أبي سنان قال: سمعت وهب بن منبه يقول: «كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء: من جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر فتركت قولي»[1].

فهذه أدلَّةٌ جليةٌ على رجوع وهب عن القول بالقدر، والذي من أجله ضعفه عمرو الفلاس -كما ذَكَرَ ابن حجر-، فلا مستمسك لرشيد رضا في التعلقِ بكلامِهِ في وهبِ ابن منبه.

٢- **نفيُهُ لِتُهمَةِ القدرِ عن نفسِهِ من الأصل**: إن كانت بعضُ الرِّوايات عن وهبِ بن مُنَبِّه جاءت مثبتةً لِرُجُوعِهِ وندمِهِ عن الخوض في القدر؛ فإن رواياتٍ أخرى - عنه أيضاً - جاءت متضمنةً نفيَهُ القول بالقدر من الأصل.

منها: أن عطاءً الخرساني اجتمع بوهبٍ في مَكَّة، فقال له عطاء: يا أبا عبد الله بَلَغَنِي عنك أنك كتبت في القدر. فقال وهب: «ما كتبت كتباً، ولا تكلمت في القدر، ولقد قرأت نيفاً وتسعين كتاباً من كتب الأنبياء...»[2] فذكر نحو قوله في رواية حماد عن أبي السنان المتقدمة.

هذه الرواية فيها دلالةٌ ظاهرةٌ على نفي وهبٍ تهمةَ القدرِ عن نفسِهِ، حيث أنكرَ أنه كتبَ كتباً أو تكلم في هذه المسألة.

---

(١) الأسماء والصفات، البيهقي، ١/ ٤٥٠، وليس فيها قوله: «كنت أقول بالقدر» وينظر أيضاً: تهذيب الكمال، المزي، ٣١/ ١٧٤، وتهذيب التهذيب، ابن حجر، ٤/ ٣٣٢.

(٢) كتاب القدر، أبو بكر الفريابي، ت: عبد الله حمد المنصور، ص٢٢٣، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، ابن بطة العكبري، ت: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، (كتاب القدر)٢/ ٣١٦، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، الحسن بن منصور اللالكائي، ت: أحمد سعد حمدان، ٤/ ٦٨٣، وحلية الأولياء، أبي نعيم، ٤/ ٢٤. أخرجه هؤلاء جميعاً: عن جعفر بن سليمان عن أبي السنان قال: «اجتمع عطاء ووهب...».

وكلا الأمرين - نفيه لتهمة القدر، أو رجُوعُه عنهُ - يُبْطلان سبب تضعيف الفلاس لوهب بن منبه، ولهذا وثَّقَهُ الجمهور واتَّفقُوا على عدالَته وصدقِه.

٣- براءته من عقيدة الجبر: مر معنا عند عرض موقف رشيد رضا من وهب بن منبه رميهُ لهُ بقول الجبرية، وقد استدل على ذلك بقول وهبٍ إنه قرأ في كتب الأنبياء: «من جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة؛ فقد كفر». فزعم السيد رشيد أن كَـلَام وهـبٍ - هذا - دليلٌ على تحولِه من القول بالقدر إلى القول بالجبر، وهذا لم أجد أحداً قاله، أو أشار إليه، مِمَّن ترجم لوهب بن منبه.

ولعل رشيداً فهم من نقل وهب لما قرأه في كتب الأنبياء أن من جعل مشيئته لنفسه كفر، لعله فهم من هذا الكلام أن وهب بن منبه لا يرى أن للمخلوق مشيئة وإرادة، وأنه مجبر على أفعاله جبراً كلياً، وهذا ما جره لأن يستعرض الآيات التي تثبت مشيئة المخلوق، وأن يذكر خطر تلك العقيدة على الأمة الإسلامية.

بنى رشيد رضا تلك التهمة - التي لم يسبقه إليها أحد - انطلاقاً من نص لا يحمل في طياته أي دلالة على نفي الإرادة والمشيئة عن المخلوق، إنما فيه أن مشيئة المخلوق خاضعة لمشيئة الله تعالى، تابعة لها، وأن المخلوق لا يشاء ولا يريد أمراً؛ إلا إن أذن الله في ذلك الأمر وشاءه، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «ليست المشيئة موكولة إليكم، فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله عز وجل رب العالمين»[١].

فما الفرق بين قول ابن كثير: «ليست المشيئة موكولة إليكم»، وقول وهب بن منبه السابق؟ وهل ابن كثير ينفي المشيئة عن المخلوق؟ وهل يتهم ابن كثير بأنه يقول بالجبر؟

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ٣٤٠.

والمفسرون في الغالب يذكرون قول وهب في تفسير هذه الآية، ولم يقل أحد منهم أنها تدل على معنى الجبر[1].

فحاصل القول أن اتهام رشيد رضا لوهب بن منبه بأنه تَحَوُّلٌ من القدرية إلى الجبرية؛ اتهامٌ لا دليل عليه، وهو تحامل منه رحمه الله لم يسبقْهُ إليه أحدٌ من علماء المسلمين، ومستمسكه في اتهامه مستمسك ضعيف والله تعالى أعلم.

(١) ينظر الاستشهاد بقول وهب مثلاً في: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٩/ ٢٤٣.

المطلب الثالث
التحقيق في موقف الصحابة من الإسرائيليات

يرى محمد رشيد رضا أن الصحابة رضي الله عنهم انخدعوا بكذب كعب الأحبار رحمه الله، وأن دسائِسَهُ راجت عليهم؛ لأنه كان يتظاهر بالعبادة، ويحكي حكايات من كتب بني إسرائيل، وَكَرَّرَ في أكثر من موضع من "المنار" أن سبب ذلك راجعٌ لكونهم لم يكونوا أهل نظر في الكتب الإسرائيلية، ومن ثم لم يُتَحْ لهم التمييز بين المكذوب والصحيح من روايات كعب الأحبار وغيرهم من مسلمة أهل الكتاب، وكان ذلك أبرز ما أجاب به رشيد رضا على ما اعترض به عليه من كون كعب مجمعاً على توثيقه من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من الحفاظ والنقاد. فنجده يقول: «وهذا الجواب من أكاذيب كعب التي كان يغش بها الصحابة والتابعين؛ لاغترارهم بعبادته وكلامه المنمق الذي يرويه عن التوراة وغيرها من كتب بني إسرائيل، ويفسر بها آيات القرآن في أخبارهم وفي أصل الخليقة»[1].

(١) المنار، ٢٧/ ٣٤٣.

وقال مجيباً عمَّن ناقشه في تجريحه لكعب ووهب: «ثم ليعلم أن شر رواة هذه الإسرائيليات، أو أشدهم تلبيساً وخداعاً للمسلمين هذان الرجلان... ولا يهولنه انخداع بعض الصحابة والتابعين بما بثاه هما وغيرهما من هذه الأخبار»[1].

هكذا يصف رشيد رضا الصحابة بأنهم انخدعوا بما بثه مسلمة أهل الكتاب من الأخبار، وأن كذبهم انطلى عليهم، بل بلغ بهم ذلك حد نقل أقوالهم كأنها مسلمات عرية عن النسبة والإسناد إلى قائليها من أهل الكتاب، وهو ما جعل من جاء بعدهم من التابعين يحسبها مرفوعات عن النبي ﷺ. يقول رحمه الله: «وقد حققنا من قبل أن كعب الأحبار من زنادقة اليهود الذين أظهروا الإسلام والعبادة لتقبل أقوالهم في الدين، وتحمل على الرواية عن أنبياء بني إسرائيل، وقد راجت دسيسته حتى انخدع به بعض الصحابة ورووا عنه، وصاروا يتناقلون قوله بدون إسناده إليه، حتى ظن بعض التابعين ومن بعدهم أنها مما سمعوه من النبي ﷺ»[2].

هذا الكلام كله يقودنا إلى ضرورة الكشف عن موقف الصحابة من الإسرائيليات التي كان يحكيها ويرويها مسلمة أهل الكتاب ككعب الأحبار، وهل فعلاً كانوا مخدوعين به وبأمثاله بحيث كانوا يقبلون كل ما يجيء به من غير تمحيص أو تمييز؟

أما كعب الأحبار ووهب بن منبه فقد سبق بيان عدالتهما وصدقهما، وضعف ما استند إليه رشيد رضا في تجريحهما، فلا يصح القول بأنهما كانا يخدعان من كان في عصرهما من الصحابة، بل الصحيح أن الصحابة كانوا يعرفون أن الكتب التي كان

---

(١) المنار، ٢٧/ ٧٨٣.

(٢) المنار، ٢٨/ ٧٥٢. وقد سار أبو رية على الطريق نفسه حين قال: «وأنى للصحابة أن يفطنوا لتمييز الصدق من الكذب من أقوالهم [أي مسلمة أهل الكتاب]، وهم من ناحية لا يعرفون العبرانية التي هي لغة كتبهم، ومن ناحية أخرى كانوا أقل منهم دهاء وأضعف مكراً، وبذلك راجت بينهم سوق هذه الأكاذيب، وتلقى الصحابة ومن تبعهم كل ما يلقيه هؤلاء الدهاة بغير نقد أو تمحيص، معتبرين أنه صحيح لا ريب فيه». (أضواء على السنة المحمدية) ص١٢٠.

ينقل منها كعب الأحبار وأمثاله من مسلمة أهل الكتاب هي كتب محرفة عن أنبياء بني إسرائيل، والحقيقة أيضاً أنهم كانوا يحتاطون في النقل عنهم، ولا يسألونهم عن كل شيء، ولم يكونوا مغفلين حتى ينطلي عليهم كذب أحد من مسلمة أهل الكتاب، إنما كانوا أهل علم وفهم، وورع وتقى.

قال الإمام الشافعي في وصفهم: «وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وأمرٍ استُدْرِك به عليهم، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا»[1].

وهم في رجوعهم لبعض أهل الكتاب، والتحديث عنهم، غير مخالفين لشرع الله تعالى، ولا عاصين لرسول الله ﷺ؛ لأنه ﷺ أباح لهم رواية ونقل ما يحكيه أهل الكتاب، ولم يجعل لهم حرجاً في ذلك حين قال: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[2].

لكنه ﷺ بين لهم منهج التلقي عن هؤلاء، وموقف المسلم من تلك الأخبار فقال: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا»[3].

قال ابن حجر: «أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً لئلا يكون في نفس الأمر صدقاً فتكذبوه، أو كذباً فتصدقوه فتقعوا في الحرج، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه، نبه على ذلك الشافعي رحمه الله... وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف من ذلك»[4].

---

(١) مناقب الشافعي، أبو بكر البيهقي، ت: أحمد السيد صقر، ١/ ٤٤٢.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) فتح الباري، ٨/ ١٧٠.

فيستفاد من عبارة الحافظ ابن حجر أن عدم التصديق أو التكذيب هو خاص بما لم يكن مخالفاً لشرعنا، أما ما ظهر مخالفته للشرع فالواجب تكذيبه، وما جاء موافقاً فيجوز تصديقه. يقول الحافظ ابن كثير: «فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقة الصحيح، وما خالف شيئاً من ذلك، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه بل نجعله وقفاً»[1].

فذلك كان موقف الصحابة من الإسرائيليات لا ما زعمه رشيد رضا من أنهم كانوا يقبلون كل ما يجيء به كعب الأحبار وغيره لأنهم لم يكونوا أهل نظر في الكتب القديمة، أو لأنهم اغتروا بعبادته وكلامه المنمق - كما قال -.

بل إن مسلمة أهل الكتاب أنفسهم لم يكونوا يصدقون ويؤمنون بكل ما يجدونه في كتب ملتهم الأولى، إنما كان منهجهم في ذلك منهج الصحابة[2].

إن ما كرره رشيد رضا كثيراً في المنار من أن الصحابة انطلى عليهم كذب كعب الأحبار، وراجت عليهم دسيسته؛ هو في الواقع انتقاص لهم، ورمي لهم بالغفلة والسذاجة «كأنهم رضي الله عنهم لم يعرفوا النبي ﷺ ودينه وسنته وهديه؛ فقبلوا ما يفتريه عليه وعلى دينه إنسان لم يعرفه، وقد ذكر [رشيد رضا] في مواضع حال الصحابة في توقف بعضهم عما يخبره أخوه الذي يتيقن صدقه وإيمانه وطول صحبته للنبي ﷺ، فهل تراهم مع هذا يتهالكون على رجل كان يهودياً فأسلم بعد النبي ﷺ بسنين فيقبلون منه ما يخبرهم عن النبي ﷺ مما يفسد دينه؟ كان الصحابة رضي الله عنهم في غنى تام بالنسبة إلى سنة نبيهم، إن احتاج أحد منهم إلى شيء رجع إلى إخوانه الذين صحبوا النبي ﷺ وجالسوه، وكان كعب أعقل من أن يأتيهم فيحدثهم عن نبيهم فيقولوا: من أخبرك؟ فإن ذكر صحابياً سألوه فيبين الواقع، وإن لم يذكر أحداً كذبوه

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ٣٤٧.
(٢) الحديث والمحدثون، أبو زهو، ص١٨٧.

ورفضوه، إنما كان كعب يعرف الكتب القديمة فكان يحدث عنها بآداب وأشياء في الزهد والورع، أو بقصص وحكايات تناسب أشياء في القرآن أو السنة، فما وافق الحق قبلوه، وما رأوا باطلاً قالوا: من أكاذيب أهل الكتاب، وما رأوه محتملاً أخذوه على الاحتمال كما أمرهم نبيهم ﷺ. ذلك كان فن كعب وحديثه. ولم يرو عنه أحد من الصحابة إلا ما كان من هذا القبيل. نعم ذكر أصحاب التراجم أنه سئل عن النبي ﷺ، وروى عن عمر وصهيب وعائشة، وعادتهم أن يذكروا مثل ذلك وإن كان خبراً واحداً في صحته عن كعب نظر، فهذه كتب الحديث والآثار موجودة لا تكاد تجد فيها خبراً يروى عن كعب عن النبي ﷺ، فإن وجد فلن تجده إلا من رواية بعض التابعين عن كعب، ولعله مع ذلك لا يصح عنه»[1].

ولعل رشيد رضا علم أن مؤدى كلامه هو طعن في فطنة الصحابة وذكائهم؛ فأراد تبرئة ساحتهم ممن قد يرد عليه هذا الظن فقال: «فإذا صدق بعض الصحابة كعب الأحبار في بعض مفترياته التي كان يوهمهم أنه أخذها من التوراة أو غيرها من كتب أنبياء بني إسرائيل، وهو من أحبارهم، أو في غير ذلك؛ فلا يستلزم هذا إساءة الظن فيهم»[2].

أقول: بل هو يفتح الباب على مصراعه لأعداء السنة والدين لأن يردوا كل ما جاء من طريقهم، ويقولوا: إن كان كذب رجل يهودي أسلم قد انطلى عليهم جميعهم - ودون استثناء -، فلا شك في أنهم كانوا على ضعف من الإدراك والبصيرة والفطنة، وهو ما يجعل تسرب الوضع إلى السنة في حياتهم أمراً سهلاً وميسوراً؛ فتزول الثقة بمروياتهم جميعاً.

---

(١) الأنوار الكاشفة، المعلمي، ص١١٣.

(٢) المنار، ٢٧/ ٧٨٤.

نماذج من إنكار الصحابة للإسرائيليات:

لتأكيد ما سبق بيانه من أن الصحابة لم يكونوا يقبلون كل ما يأتي به كعب الأحبار وغيره من مسلمة أهل الكتاب من الأخبار الإسرائيلية؛ أجدني ملزماً بذكر بعض الوقائع التي ناقش فيها الصحابة الكرام ما كان يحكيه هؤلاء مما يجدونه في كتب مللهم الأولى قبل إسلامهم.

فمن ذلك ما رواه الشيخان[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه الله إياه»، فقد اختلف السلف في تعيين هذه الساعة، وهل هي باقية أم رفعت؟ وإذا كانت باقية فهل هي في جمعة واحدة من السنة، أو في كل جمعة منها؟[2]. قال كعب: ذلك في كل سنة يوم. فقلت [أي أبو هريرة]: بل في كل يوم جمعة. قال: فقرأ كعب التوراة فقال: صدق رسول الله ﷺ. قال أبو هريرة: ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب، فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أية ساعة هي. قال أبو هريرة: فقلت له: فأخبرني بها. فقال عبد الله بن سلام: هي آخر ساعة في يوم الجمعة. فقلت: كيف هي آخر ساعة في يوم الجمعة؟! وقد قال رسول الله ﷺ: (لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي)، وتلك الساعة لا يصلى فيها.

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح)، كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة، رقم٩٣٥، وفي كتاب الطلاق، باب الإشارة في الطلاق والأمور، رقم٥٢٩٤، وفي كتاب الدعوات، باب الدعاء في الساعة التي في الجمعة، ومسلم في (الصحيح)، كتاب صلاة المسافرين، باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء، ١/ ٥٢١، رقم٧٥٧، وفي كتاب الجمعة، باب الساعة التي في الجمعة، ٢/ ٥٨٣، ٥٨٤، رقم٨٥٢.

(٢) ينظر الخلاف في ذلك في: شرح صحيح مسلم، النووي، ٦/ ١٣٩، وشرح صحيح البخاري، ابن بطال، ٢/ ٥٢٠، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب، ت: طارق عوض الله، ٥/ ٥٠٥.

فقال عبد الله بن سلام: ألم يقل رسول الله ﷺ: من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو في صلاة يصلي»[1].

فهذا أبو هريرة الذي كان موصوفاً - عند رشيد رضا - بتصديق كل ما يقوله كعب؛ يرد على كعب ويخطئه متبعاً المنهج النبوي الذي سبق تبيينه.

وهذا ابن عباس رضي الله عنهما الذي كان يصدق أكاذيب كعب - حسب رشيد رضا - يُكَذِّب ما جاء في كتب اليهود من أن المَفْدِيَّ هو إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام.

قال ابن عباس: «المفدي إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود»[2].

ولما بلغه أن نوفاً البكالي - ربيب كعب الأحبار -، يزعم أن موسى بني إسرائيل ليس بموسى الخضر قال: «كذب! حدثنا أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ... وساق الحديث الذي عند البخاري في قصة موسى مع الخضر[3].

---

(١) أخرجه مالك في (الموطأ - رواية الليثي)، ١/ ١٠٨، وأحمد في (المسند)، ١٦/ ٢٠٤، وأبو داود في (السنن)، كتاب الصلاة، باب فضل الجمعة وليلة الجمعة، ١/ ٤٤٢، والحاكم في (المستدرك)، ١/ ٤٠٦، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي فقال: «على شرطهما». وصححه الألباني في (صحيح أبي داود) ٤/ ٢١٢.

(٢) أخرجه الطبري في (جامع البيان)، ٢١/ ٨٣، والحاكم في (المستدرك)، ٢/ ٦٥١، وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(٣) أخرجه البخاري في (الصحيح)، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم، رقم١٢٢، وفي كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، ٣٤٠١، وفي كتاب التفسير، باب: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠]، رقم٤٧٢٥، وباب: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢]، رقم٤٧٢٧.

وابن عباس هو القائل: «كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث، تقرؤونه محضاً لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله، وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم، ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم»[1].

فهل هذا شأن من ينخدع بأكاذيب كتابيٍّ أسلم بعد وفاة النبي ﷺ؟ لا والله، بل كان ابن عباس عالماً بالكتب، مطلعاً على ما فيها، مميزاً لصحيحها من سقيمها، فكيف يقال إن دسيسة كعب ووهب راجت عليه وعلى إخوانه من الصحابة.

ومن ذلك أيضاً ما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال لكعب الأحبار منكراً: أنت تقول: «إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا؟». فقال له كعب: «إن كنت قلت ذلك، فإن الله تعالى قال: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾» [الكهف: ٨٤]. قال ابن كثير معلقاً: «وهذا الذي أنكره معاوية رضي الله عنه على كعب هو الصواب، والحق مع معاوية في ذلك الإنكار»[2].

فهذا كله وغيره دليل على أن الصحابة لم يكونوا سذجاً يصدقون كل ما ينقله مسلمة أهل الكتاب مما يجدونه في التوراة أو الإنجيل أو الصحف، بل كانوا يتعاملون مع هذه النصوص على وفق ما أرشدهم إليه رسولهم ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح)، كتاب الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها، رقم٢٦٨٥، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب، باب قول النبي: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، رقم٧٣٦٣، وفي كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، رقم٧٥٢٢، ٧٥٢٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ١٩٠.

• خلاصة ما سبق:

موقف رشيد رضا رحمه الله من مسلمة أهل الكتاب - لاسيما كعب الأحبار ووهب بن منبه - هو موقف متحامل، كيف لا؟ وقد رماهم بكل نقيصة، من الزندقة، والكفر، والكذب، والكيد للإسلام، وتشويه القرآن بالإسرائيليات، وخالف إجماع العلماء سلفهم وخلفهم في توثيقهم للحبرين، ونفي تهمة الكذب عنهما دون أن يأتي في هذه الدعوى العريضة بما يقنع من الأدلة وما يصلح من الحجج.

وقد نلتمس العذر للشيخ رشيد في موقفه ذلك، فإنه رأى أن تلك الإسرائيليات كانت مثاراً لشبه الملاحدة وأعداء الإسلام، وكانت معظم تلك الإسرائيليات المستغربة تنسب إلى كعب ووهب، فرأى أن الطعن فيهما يرد تلك الشبهات[1]، وقد صرح بذلك بشكل واضح فقال: «وإننا بهذا الطعن في روايتهما ندفع شبهات كثيرة عن كتب الإسلام، سيما تفسير كتاب الله تعالى بالمأثور عن السلف، وقد حشي خرافات كثيرة يأخذها القارئون للتفسير وقصص الأنبياء بالتسليم»[2].

ولعل الدافع الذي جعل رشيد رضا يتخذ هكذا موقف؛ هو ما اختبره في سنوات طويلة من المناقشات والمناظرات مع الملاحدة وأعداء الإسلام، الذين كانوا يتخذون من الروايات الإسرائيلية مطية للطعن في هذا الدين؛ فرأى أن أفضل طريق لصد تلك الهجمات هو الطعن في كعب ووهب، وفي جمهور مسلمة أهل الكتاب من رواة الإسرائيليات، وفي ذلك يقول - رداً على من اعترض عليه طعنه في كعب ووهب -: «لم يختبر في هذا الموضوع بعض اختبارنا في ثلث قرن قضيناه في معالجة هذه الشبهات، ومناظرة هؤلاء الملاحدة وأمثالهم من خصوم الإسلام والرد عليهم قولاً وكتابة، وقد ثبت عندنا أن روايات كعب ووهب في كتب التفسير والقصص والتاريخ؛ كانت مثار شبهات كثيرة للمؤمنين، لا للملاحدة والمارقين وحدهم»[3].

---

(١) موقف المدرسة العقلية من الحديث النبوي، شقير، ص١٨٨.

(٢) المنار، ٢٧/ ٦١٤.

(٣) المنار، ٢٧/ ٥٣٩.